جامعة عبد الرحمن ميرة

كلية الآداب واللغات ***نقد عربي قديم***

د.شيبان سعيد

قسم اللغة و الأدب العربي

الفحولة في النقد العربي القديم

1) تعريف مصطلح الفحولة لغة:

جاء في لسان العرب:« الفحل معروف الذكر من كل حيوان، جمعه أفحل وفحول وفحولة وفِحال . قال سيبويه: ألحقوا فيها الهاء لتأنيث الجمع.. ويقال رجل فحيل، وإنه لبيّن الفحولة.. كما يقال استفحل الأمر، واستفحل أمر العدوّ، إذا اشتدّ وقوِيَ. والفحل أيضاً حصير تنسج من فحال النخل والجمع فحول »[1].

وذكر أبو منصور الأزهري أنّ رجلاً كلّف أحد خدمه بشراء أضحية العيد، فقال له: اشترِ كيساً فحيلاً. قال أبو عبيدة: قوله (فحيلاً) هو الذي يشبه الفحول في خلقه ونبله[2].

وقال أحمد بن فارس:« الفحل يدل على ذكارة وقوة، من ذلك الفحل في كل شيء، وهو الذكر الباسل.. وفحل وفحيل: أي كريم المنجب »[3].

2) تعريف الفحولة اصطلاحاً:

إذا كان المعنى اللغوي للفحولة عند العرب لا يخرج عن دائرة الذكورة والقوة، فقد انتقل المفهوم إلى دوائر الشعر والشعراء، ذلك أنّ غلبة الشاعر غيره في فن الهجاء، أو المعارضة بالشعر، دليل على قوته في طاقته الإبداعية، وزيادة قدرته وفطنته على غيره من الشعراء، فهو يفطن في الموهبة الشعرية لِما عجز عنه غيره. فالفحولة الشعرية ارتبطت **بالاقتدار**

---

[1] - ينظر ابن منظور، لسان العرب، مكتبة المعارف، 1979، مادة فحل.

[2] - أبو منصور الأزهري، تهذيب اللغة، تح: محمد عبد السلام هارون، ج5، مراجعة محمد علي النجار، القاهرة 1964، ص 74.

[3] - أحمد بن فاس، مقاييس اللغة، تح: محمد عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت لبنان، مادة (فحل).

والتفوق والسبق في مجال قول الشعر وروايته؛ فالفحل من الشعراء من كان« غالبا لا مغلوبا فاستحق بقوة طاقته اسم الفحولة النسبية تفردا ورمزية وطبعا وتأثيراً، أي بالنسبة لمن غلبه ولغيره من الشعراء »[1].

ويعرّفها الباحث إحسان عباس قائلاً:« **الفحولة تعني طرازاً رفيعاً في السبك وطاقة كبيرة في الشاعرية، وسيطرة واثقة على المعاني** »[2]. ومن هذا المنطلق ربط القدامى مصطلح الفحولة **بالذكورة** للدلالة على **البأس والشدة والسيطرة.** ومن هنا كان الأصمعي (ت 210 هـ) يجعل بعض الشعراء خارج الفحولة ، فليس بفحل؛ أي أنّ شعره« لا يحقق سمات الشعر الفحل الموصوف عندهم بالقوة التي تعلو بالفحل على غيره ولا يحقق أوصاف شعر الأنثى الموصوف عندهم باللين والرقة »[3].

وتسمية الشاعر بالفحل هو من باب المجاز، إذ شُبّه بفحل الإبل. والفحل من الإبل يعتزل إناثه بعد أن يقضي منهن وطراً، ويعتزل الشاعر الفحل الشعراء **بتفرد إبداعه وتفوقه على غيره.**

فالفحولة في النقد العربي القديم تصور ذهني متعلق **باستعداد كل شاعر وقدرته على تخطي وتجاوز حدود سابقيه من الشعراء. فالشاعر الفحل هو الذي يؤثر في غيره،** فيأخذون منه كما تأخذ الأنثى من فحلها فتنجب اغلبها منه. فإذا لم يكن له أثر واسع في شعراء زمنه وفي الأزمنة اللاحقة، أُخرِج من دائرة الفحولة، والفحول (سمة التأثير في الغير).أما الشعراء الذين لم يحصلوا على رتبة الفحل، فمردّ ذلك إلى قلة تأثيرهم في غيرهم، وإما لفساد طبعهم.

3 - مقاييس الفحولة عند النقاد القدامى:

---

[1] - عبد الكريم محمد حسين، فحولة الشعراء عند الأصمعي، مفهومهما وقاعدتها وتطبيقاتها، ط1، دار كنان، دمشق، سوريا 2005، ص 42

[2] - إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ط1، دار النشر للنشر، عمان، الأردن 2066، ص 41.

[3] - عبد الكريم محمد حسين، فحولة الشعراء عند الأصمعي، ص 42

أ - مقاييس الفحولة عند الأصمعي (ت 210 هـ): وضع الأصمعي مراتب للفحولة، وعبّر عنها بصيغ متعددة منها صيغة (أول الفحول)، ثم (رأس الفحول)، ثم (فحل الفحول)، ثم (لَحِق بالفحول). ومنها صيغة (يشبه الفحول)، كما ذكر (فحولة بالظن) للدلالة على الفحولة المنقوصة، كما نفى الفحولة عن بعض الشعراء، وأشار إلى المسكوت عن فحولتهم. كما حدثنا عم فحولة الشعر وفحولة القصيدة. وقد حدد الأصمعي معايير وشروط الفحولة في قوله:« لا يعتبر الشاعر في قريض الشعر فحلاً حتى يروي اشعار العرب، ويسمع الأخبار ويعرف المعاني وتدور في مسامعه الألفاظ، وأول ذلك أن يعرف العروض ليكون ميزاناً على قوله، والنحو ليصلح به لسانه ويقيم به إعرابه، والنسب وأيام العرب، ليستعين بذلك على معرفة المناقب وذكرهما بمدح أو ذم »[1].

وهكذا، فقد ربط الأصمعي الاقتدار في مجال الشعر(الفحولة) بحسن رواية الأشعار وسماع الأخبار وفقه معاني الكلام، والإحاطة بضروب العروض والنحو ومعرفة أنساب العرب، وأيامهم ومناقبهم. فمن حظي بتحصيل هذه الشروط عُدّ فحلاً يُنزَل في طليعة الشعراء. وقد بوّأ الأصمعي امرأ القيس منصب أول الفحول، وقال فيه« بل أولهم كلهم في الجودة امرؤ القيس: له الحظوة والسبق، وكلهم أخذ من قوله واتبعوا مذهبه »[2].

ب - **معايير الفحولة عند ابن سلام الجمحي** (ت 231 هـ):

أكد ابن سلام الجمحي تقديم الفحول من الشعراء الذين اشتهروا بين الرواة والناس بكثرة أشعارهم فيقول:« ففضلنا الشعراء من أهل الجاهلية والإسلام والمخضرمين الذين كانوا في الجاهلية وأدركوا الإسلام فنزلناهم منازلهم، واحتججنا لكل شاعر بما وجدنا له من حجة، وما قال فيه العلماء، فاقتصرنا من الفحول المشهورين على أربعين شاعراً فألفنا من تشابه شعره »[3].

---

[1] - ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر ونقده، ج1، دار المعرفة، بيروت لبنان، 1988، ص 363.

[2] - عبد الكريم محمد حسين، فحولة الشعراء عند الأصمعي، ص 51

[3] - ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، تح: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، السعودية، ص 24 - 25.

وغني عن البيان أنّ ابن سلام الجمحي جعل السبق في الفحولة لمعيار الكم الشعري، أو كثرة الإنتاج الأدبي والقدرة على التصرف في فنون الشعر المختلفة. ومن هذا المنطلق وجدناه لا يستبعد عدة شعراء من السبق، ويبرر تأخرهم في التصنيف بسبب« قلة شعرهم بأيدي الرواة »[1].

كما آثر ابن سلام معايير أخرى في تحديد الفحولة؛ كتعدد الأغراض الشعرية، ولذلك قدّم جميل بن معمر على كثيّر عزة في الغزل مع أنّ كثيّر قال شعراَ في غير الغزل. كما كان لعامل التديّن أثره في تحديد سمات الفحولة لدى ابن سلام الجمحي؛ إذ تعمد في تأخير بعض الشعراء بسبب إسرافهم في المجون، نعتهم بالشعراء المتعهرين الفساق، وسمّى الذين عُرفوا بتمسكهم بدينهم بالمتألّهين المتعففين، ولذلك امتنع عن تصنيف عمر بن أبي ربيعة ضمن شعراء الغزل. وبالمقابل وضع حسان بن ثابت على رأس فحول شعراء القرى العربية، علماً بأنّ الأصمعي حطّ من فحولة حسان بن ثابت بعد إسلامه، فصرّح قائلاً: « الشعر نكد بابه الشر، فإذا دخل في الخير لان وضعف، هذا حسان بن ثابت فحل من فحول الجاهلية، فلما جاء الإسلام سقط شعره »[2].

4 - معايير الفحولة عند النقاد المغاربة:

- **ابن رشيق القيرواني**(ت 456 ه): حدد ابن رشيق معايير الفحولة في المراس والدربة والجودة بالنسبة للفحول، يليهم المفلق، وهو الذي يروي أشعار غيره عن علم ودراية، وأدناهم الشعرور الذي يفتقر إلى أدنى صفات الشاعرية. يقول ابن رشيق:« الشعراء أربعة: شاعر خنذيذ وهو الذي يجمع إلى جودة الشعر رواية الجيد من شعر غيره.. وشاعر مفلق، وهو الذي لا رواية له إلاّ أنه مجود.. وشعرور وهولا شيء »[3].

---

[1] - ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، ص 137

[2] - ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تقديم حسن تميم، مراجعة محمد عبد المنعم عربان، دار إحياء العلم، بيروت لبنان، د ت، ص 192

[3] - ابن رشيق، العمدة، ج1، ص 113.

- **حازم القرطاجني**(ت 684 هـ): كان حازم القرطاجني حاذقاً في تحديد سمات الفحولة لدى الشاعر التي لخصها في ثلاث خصال وهي: البراعة في الحفظ بواسطة ذاكرة واعية بمخزون الصور والمعاني التي يستدعيها عند قول الشعر في أي غرض كان. ناهيك عن القدرة على التمييز بين غثه وسمينه، مما يلائم الصنعة الشعرية، يضاف إليها قوة صانعة تتولى ضم أجزاء القصيدة، ليلتئم بعضها ببعض على نحو يحقق الإمتاع والإطراب. وهكذا أراد القرطاجني أن يجعل الفحولة تدرك بثلاث مهارات؛ مهارة الحفظ والذاكرة، تليها مهارة الضم والتأليف، ثم تأتي مهارة الصنعة والإحكام، والترتيب والإخراج. يقول حازم القرطاجني:« ولا يكمل للشاعر قول على الوجه المختار إلاّ بأن تكون له قوة حافظة، وقوة مائزة وقوة صانعة »[1].

[1]- القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب خوجة، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1981، ص 42